Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences

E-ISSN 2663-5836
P-ISSN 1999-5601
Original Research

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq
Vol. 18 No. 3 July 2026, pp.133-141
https://doi.org/10.31185/lark.5507

The Impact of Spatial Paradox on the Formation of the Alienated Personality (in the Arabic Novel)

Manal Yasser Kattoof1 Dr. Azat Mla Ibrahemi
University of Tehran / Alborz Branch
University of Tehran / Alborz Branch
mkattoof@uowasit.edu.iq
mebrahim@ut.as.ir

Received Mar .1, 2026 | Revised Apr6, 2026 | Accepted Apr 8, 2026 | OnlineJul.1, 2026

ABSTRACT

This study addresses spatial paradox, as it is one of the deep narrative structures that contribute to building and shaping the alienated character in the contemporary Arabic novel. The place does not serve an inclusive function for the character, but rather turns into a hostile, exclusionary, and contradictory space that increases the depth of the character's feeling of alienation and loss of belonging. Here we find that the place does not serve an inclusive function for the character, but rather turns into a hostile and contradictory space that increases the depth of the character's feeling of alienation and loss of belonging. Here we find that the place will not be a haven for the character or identity, but rather a coercive element that reflects the incompatibility of the relationship between the self and the social environment. The novels included in the study also reveal that spatial paradox arises from the tension between the place that is supposed to be a homeland and the place in which exclusion and marginalization are practiced, which leads to the fragmentation of the consciousness of the receiving character and the division of his affiliations.

Keywords: Paradox, Fragmentation, Alienated Identity, Place

اثر المفارقة المكانية في تشكيل الشخصية المستلبة (في الرواية العربية)

البحثة منال ياسر كطوف[1]، د.عزت ملا ابراهيم[2]
جامعة طهران / فرع البرز
mkattoof@uowasit.edu.iq
mebrahim@ut.as.ir

الملخص

تتناول هذه الدراسة المفارقة المكانية, لأنها تعد احدى البنى السردية العميقة التي تُسهم في بناء وتشكيل الشخصية المستلبة في الرواية العربية المعاصرة, لا يؤدي المكان وظيفة احتوائية للشخصية, بل يتحول إلى فضاء معاد~ وطارد ومتناقض يزيد من عمق إحساس الشخصية بالاغتراب وفقدان الإنتماء فهنا نجد إن المكان وظيفة احتوائية للشخصية, بل يتحول إلى فضاء معادٍ ومتناقض يزيد من عمق إحساس الشخصية بالاغتراب وفقدان الانتماء, فهنا نجد إن المكان لن يكون حاضنا للشخصية ولا للهوية وإنما عنصراً قهرياً يعكس عدم توافق العلاقة بين الذات والمحيط الاجتماعي, كما تكشف الروايات محظ الدراسة عن إن المفارقة المكانية تنشأ من التوتر بين المكان يُفترض أن يكون وطناً والمكان الذي يمارس فيه الإقصاء والتهميش, مما يؤدي إلى تشظي وعي الشخصية المستلمة وانقسام وإنتمائاته.

الكلمات المفتاحية: المفارقة .التشظي المستلبة الهوية المكان

اهداف الدراسة (المفارقة المكانية)

تهدف هذه الدراسة لتحقيق جملة من الاهداف اهمها

1. رصد تمثلات المفارقة الزمنية في الرواية العربية المعاصرة وبيان آليات تجسيدها داخل البيئة السردية.
2. دور المكان في تشكيل الشخصية المستلبة وكيف يتحول من مكان أليف وفضاء للاحتواء إلى مكان معادٍ وفضاء طارد وقاهر.
3. تحديد الابعاد النفسية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تنتج عن المفارقة المكانية داخل البيئة السردية للرواية العربية.

فرضيات الدراسة (المفارقة المكانية)

تركز هذه الدراسة على مجموعة من الفرضيات, إذ تحاول الدراسة جاهدة السعي إلى اختيارها وتحليلها من أهمها.

1. وظفت المفارقة المكانية في الرواية العربية المعاصرة لكونها أداة أو تقنية فنية للكشف عن أزمة الإنسان العربي.
2. يسهم اضطراب العلاقة بين الشخصية والمكان في تعميق حالة الفوضى والاستلاب والاغتراب وفقدان الذات والهوية.
3. تختلف السياقات السياسية والاجتماعية والنفسية في كل رواية مما يؤدي إلى اختلاف أنماط المفارقة المكانية.

تحديد المشكلة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to share and adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial publication in this journal.

1. كيف تتجسد المفارقة المكانية في الرواية العربية المعاصرة وأثرها على تشكيل الشخصية المستلبة؟
2. كيف يتحول المكان (الوطن) من فضاء للإنتماء إلى مكان للإقصاء والتهميش.
3. هل تختلف رؤية الكاتب في تمثيل المفارقة المكانية في الرواية باختلاف السياقات الاجتماعية والثقافية لكل رواية.

من المشاكل التي واجهتها الدراسة أن كثير من القراءات النقدية سلطت الضوء في دراستها على البعد الزماني واهملت البعد المكاني لكون الزمن بفاعلية في إنتاج الاستلاب.

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي

- الذي عمد على التركيز على وصف الفضاءات المكانية في الروايات وأثرها في الاستلاب النفسي للشخصية.
- الكشف عن أوجه الاختلاف والتشابه بين تمثلات المكان في الرواية المدروسة.

المبحث الاول

الاطار النظري لمفهوم

المفارقة المكانية لاستلاب الشخصية في روايات الدراسة

(أبناء واحذية – جثث بلا اسماء – حارس التبغ – ساق البامبو – لأني أسود)

المطلب الاول: مفهوم المفارقة المكانية:

المفارقة المكانية (Spatial Paradox) في السرد هي تقنية فنية تُعنى باللعب بالمكان السردي وتوظيف التناقضات أو التضادات المتعلقة بالأمكنة داخل العمل الروائي.(الجابري، 1992، ص89) وهي لا تُشير بالضرورة إلى تناقض منطقي، بل إلى استخدام المكان بطريقة تُبرز تباينًا أو تعارضًا في الدلالة، أو تُظهر تناقضًا بين المظهر والجوهر، أو بين ما هو متوقع من المكان وما يحدث فيه فعليًا. (بوعزة، 2010، ص99)

وتقوم المفارقة المكانية على إحداث تضارب أو تناقض دلالي بين وظيفتين أو أكثر لمكان واحد، أو بين صورته الذهنية وواقعه في النص. يُصبح المكان، بحد ذاته، رمزًا يُعبر عن صراعات داخلية أو خارجية، ويكشف عن طبقات خفية من المعنى المتعلقة بالشخصيات، الحبكة، أو الرسالة العامة للعمل الأدبي. (البدراني، 2013، ص44)

يهدف الكاتب إلى تعميق المعنى، إثارة التفكير، أو إبراز جوانب خفية من الواقع أو الشخصيات.

ويُعد المكان عنصرًا أساسيًا لا غنى عنه في أي عمل سردي، فهو لا يمثل مجرد "خلفية" تجري عليها الأحداث، بل يتفاعل مع الشخصيات ويؤثر فيها، ويُسهم بشكل كبير في بناء الدلالة العامة للرواية.(ياسين، 1986، ص396)، تتعدد تصنيفات المكان في الرواية بناءً على وظيفته، طبيعته، وعلاقته بالشخصيات والأحداث.

المطلب الثاني: دلالات المفارقة المكانية:

تُسهم المفارقة المكانية في تحقيق عدة دلالات عميقة:

- كشف التناقضات الاجتماعية والسياسية: تُساعد على إبراز الخلل في البنى الاجتماعية أو السياسية التي تُحوّل الأماكن من وظائفها الطبيعية إلى وظائف متناقضة، مما يُشير إلى الفساد، القمع، أو التمييز المتغلغل.
- تعميق الحالة النفسية للشخصيات: تُعكس المفارقة المكانية حالة الشخصيات النفسية، اذ يُمكن للمكان أن يُجسّد قلقهم، خوفهم، عزلتهم، أو صراعهم الداخلي مع بيئتهم.
- بناء الرمزية: تُحوّل المفارقة المكانية الأماكن من مجرد خلفيات إلى رموز قوية، تُكثف المعنى وتُضيف أبعادًا فلسفية للرواية.
- التأكيد على أزمة الهوية والانتماء: عندما يُصبح المكان الذي يُفترض أن يكون مصدرًا للانتماء سببًا للاغتراب، فإن ذلك يُعزز من أزمة الهوية التي تُعاني منها الشخصيات.
- نقد الواقع: هي أداة نقدية فعالة تُسلط الضوء على الأوجه المظلمة في المجتمع، وتكشف عن الزيف أو التناقض بين المظاهر والواقع. (رضا، 2018، 324-326)

المفارقة المكانية ليست مجرد تقنية شكلية، بل هي عنصر بنيوي يُسهم في تعميق الدلالة الروائية، ويُمكن الكاتب من بناء عوالم سردية تُعبر بفاعلية عن تعقيدات التجربة الإنسانية في علاقتها بالمحيط الذي تعيش فيه.

المطلب الثالث: لماذا تستعمل المفارقة المكانية؟

تُخدم المفارقة المكانية أغراضًا فنية ودلالية مهمة، منها:

- تعميق فهم الشخصية: الأماكن تُساهم في تشكيل الشخصية وتعكس حالتها النفسية والعاطفية.
- إبراز القضايا الاجتماعية والسياسية: تستعمل لتصوير التناقضات الطبقية، الفساد، أو تأثير الصراعات على البيئة الحضرية والريفية.
- بناء الجو العام: تخلق جوًا من التوتر، الحنين، الغرابة، أو الاغتراب.
- التعبير عن الاغتراب والانفصال: تُعد أداة قوية لتصوير شعور الشخصية بالغربة، سواء في وطنها أو في المنفى.
- إثراء السرد: تضيف طبقات من المعنى وتجعل النص أكثر حيوية وتأثيرًا على القارئ. (عزام، 2004، ص67-68)

المفارقة المكانية أداة سردية تُمكن الكاتب من استغلال الأبعاد المكانية للقصة بطرق غير تقليدية، لإضافة عمق دلالي، وإبراز التناقضات، والتعبير عن رؤيته الفنية للعالم والشخصيات.

المطلب الرابع: صور المفارقة المكانية:

- تتجلى المفارقة المكانية في الرواية بعدة صور، منها:
- المكان الآمن الذي يتحول إلى مصدر خطر: يُفترض أن يكون بعض الأماكن (كالمنزل، الملاذ، المشفى) مصدرًا للأمان والراحة، لكنها في سياق المفارقة المكانية تتحول إلى مساحات للخوف، التهديد، أو التعذيب. هذا التناقض يُبرز مدى تغلغل الشر أو الفساد أو العنف في حياة الشخصيات. (صالح، 1997، ص85-86)

- مثال: المنزل العائلي الذي يُفترض أن يكون ملاذًا للطفولة، لكنه يُصبح مسرحًا للتمييز العنصري أو القمع الأسري.
- المكان المأهول بالحياة الذي يُصبح شاهدًا على الموت والخراب: الأماكن التي تضج بالحياة (كالمدن، الأسواق، الشوارع) قد تُقدم في الرواية كمسارح للدمار، الجريمة، أو العنف، مما يُحدث مفارقة بين طبيعتها المفترضة ووظيفتها في السرد. (باشلار، ،ص39)
- مثال: مدينة كانت تُعرف بجمالها وحيويتها، تتحول إلى أنقاض أو تُصبح مكبًا للجثث.
- المكان الذي يُفترض أن يجمع ويوحد، فيصبح مصدرًا للانقسام والاغتراب: تُصمم بعض الأماكن لتكون مساحات للاندماج الاجتماعي أو التفاعل الحر (كالمدارس، المقاهي، الساحات العامة)، لكنها في الرواية قد تُظهر كيف تُصبح هذه الأماكن هي نفسها مصدرًا للتمييز، العزلة، أو الشعور بالاغتراب.
- مثال: المقهى الذي يُفترض أن يكون ملتقى للمثقفين، يتحول إلى مكان للمراقبة والصمت الحذر في ظل نظام استبدادي.
- المكان المغلق والمحدود الذي يعكس العالم الأوسع أو الحرية: قد تُصبح الأماكن الضيقة والمُحكمة (كالسجن أو الغرفة الصغيرة) مرآة لما يجري في العالم الخارجي الأوسع، أو تُصبح مساحة للحرية الفكرية والهروب الداخلي من القيود المادية. (مرتاض، 1988، ص141)
- مثال: زنزانة السجن التي تُصبح مكانًا للتأمل الفلسفي العميق أو التخطيط للمقاومة.
- المكان الذي يُشير إلى الانتماء لكنه يُثير الشعور بالنبذ: الوطن أو المدينة الأم التي يُفترض أن تُعطي الشخصية شعورًا بالانتماء، قد تُقدم في الرواية كمكان يُنبذ فيه البطل أو يُعاني من فقدان هويته. (باختين ، 1990، ص5)
- مثال: البطل الذي يعود إلى وطنه الأم، فيجد نفسه غريبًا فيه بسبب تغير الظروف أو التمييز ضده.
- تُعد المفارقة المكانية في الرواية العراقية إحدى أهم التقنيات التي يستخدمها الروائيون لتعكس الواقع المعقد والمضطرب الذي عاشه ويعيشه العراق. المكان في الرواية العراقية ليس مجرد خلفية ثابتة للأحداث، بل هو كيان حيّ يتأثر بالصراعات السياسية والاجتماعية والنفسية، ويتحول ليجسّد التناقضات العميقة بين ما يجب أن يكون عليه وما آل إليه. تُظهر هذه المفارقة كيف أن الأماكن التي يُفترض بها أن تكون رموزًا للانتماء والأمان، تُصبح في كثير من الأحيان مصادر للقلق، الخوف، والاغتراب. (رضا، 2024، ص47-48)

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية على الروايات المدروسة

المطلب الاول: اثر المكان في رواية حارس التبغ

تُعد رواية "حارس التبغ" للكاتب العراقي علي بدر من الأعمال التي توظف المفارقة المكانية ببراعة، اذ تتجاوز الأماكن فيها كونها مجرد خلفيات للأحداث لتصبح كيانات حية تُجسّد الصراعات الداخلية والخارجية للشخصيات وللوطن العراقي نفسه. تُبرز المفارقة المكانية في هذه الرواية من خلال التناقضات الصارخة بين دلالات الأماكن الظاهرية وواقعها الفعلي، أو تحولها إلى رموز مؤلمة تعكس الواقع المتقلب.

إن شخصية يوسف جعلت من نفسها النواة، وكل ما يدور حولها قشور تغّلف هذه النواة، مثل رأس البصل ، وتتمثل ال قشرة في العائلة، ثم في الطائفة اليهودية، ثم في المجتمع كلّ مكوناته، ولذا فإن أول شيء تسعى الشخصية "يوسف" للتحرر منه هو الهوية التي تتجلى في البعد المكاني، وهو حارة اليهود. إنه يشعر تجاهها شعوراً متناقضاً، فالحي وإ ن كان يوفر له نوعا من الحماية في الداخل، فإنه:

"يوفر له الخوف في الخارج، كانت الأحياء في الأحياء المختلطة اختباراً من نوع جديد، اختباره هو حينما يخلصه الوضع الجديد من الخوف من الخارج، يخلصه من الرعب الذي يسيل فيه وهو تحت سور الحي اليهودي" (بدر، 2008، ص125)

ويقودنا هذا إلى القول بأن الشخصية قلقة وخائفة من العائلة ومن غيرها من البشر خارج مكانه الداخلي. إنه خائف من الداخل كما هو خائف من الخارج، خلاف رؤية باشلار الذي يرى أن مساحتي الداخل والخارج قد تتبادلان أدوارهما، لأن "الداخل والخارج متآلفان، إنهما على استعداد دائم لتبادل أماكنهما حتى يتبادلا العداوة، إذا تواجد سطح يفصل بين الخارج والداخل". (بدر، 2008، ص126)

أن علاقة الخارج بما تمثله سلطة وافدة على المكان أضحت علاقة عدائية، ذلك لأن السلطة الوافدة شوهت المكان، وغيرت ملامحه بالكامل.

"كان الحي قد تبدل إلى حد أنه كان يتساءل أحياناً عما إذا كانت بابل المقدسة، ما زالت تحتوي على كل تلك النسوة اللاتي كن يتمتعن بتنوع لهجاتهن ومظاهرهن ، وهي الحيوية التي كانت المدن تكت سبها من هذا العالم المصغر، اذ يرتاده الناس من كل أنحاء العراق؛ لهجات، عادات، وحيوات متعددة، إنه بحق بلد بأسره". (بدر، 2008، ص142)

إن الراوي في رواية (حارس التبغ) يصف الحي من خلال عين الشخصية ، وهو الموسيقار (كمال مدحت) في طور شبابه الأول. إنه يشبِّه الحي بمدينة بابل فقد منحه صفة التقديس، وتساءل إن كان الحي الذي يحمل صفات أسطورية كبابل المقدسة لا يزال كما هو، فهو يرى أن الناس يأتون إلى بابل من أنحاء العراق، تلك البقعة التي أصبحت تشبه العالم مصغراً.

وقد استخدم علي بدر تقنية تكثيف المكان، وذلك بتشبيه بقعة أو مساحة صغيرة من المدينة بالعالم. إنه بذلك يؤكد الاختلاط والتعددية في المدن، كما قدَّم المكان اجتماعياً وسيلة لذكر الناس واللهجات ... الخ، وكأن هذه الأشياء هي التي تمنح المكان قدسيته.

نرى يوسف مشتتاً وممزقاً بين الهنا/ الواقع، والهناك/ الخيال، فهو يحاول أن يتناسق معه ويفضل البقاء فيه، يقول الراوي :

"كان (يوسف) غريباً عن كل ما يحيط به، كان الكل يصرخ به عليه أن يتطابق مع دوره، وكان هو يري د أن يتطابق مع الموسيقى .. لم يكن يريد أن يكون من هذا النوع أو ذاك، لكنه يمكن أن يصبح، حسب الحاجة، هذا أو ذاك أن يكون هنا وهناك". (بدر، 2008، ص153)

وقد أفرط الكاتب بذكر الأماكن ليوهم المتلقي، أو القارئ بواقعية أو بحقيقة الأحداث، حتى ليجد القارئ نفسه أمام أسماء لا يعرف عنها شيئا، إذا كان غير عراقي، فتتحول الرواية بذلك إلي معجم لّلهجة البغدادية. فهو يختص بأسماء الشوارع العراقية والحارات، والمحلات، والجوامع، والمكتبات، والكنائس.

لجأ إلى الإيهام بالواقع، وذلك بذكر الأماكن الواقعية والأشياء واستخدام أسلوب التقصي والبحث وجمع المعلومات، بقوله :

"ومن أجل تسهيل العمل على هذه الشخصية الملغزة، قمت بتجميع مجموعة من الخيوط لتكوين صورة وصفية عن كمال مدحت: فهو شخص طويل القامة، نحيل جداً، بشعر طويل ولحية خفيفة، يرتدي نظارات ذات إطار بلاستيكي ...هذه هي الصورة الوصفية التي يمكن تكوينها عنه". (بدر، 2008، ص11)

إذ وقعت الجريمة بتاريخ: **"الثالث من ابريل من العام 2006 وجدت جثة الموسيقار كمال مدحت مرمية على مقربة من جسر الجمهورية على نهر دجلة من جهة الرصافة.. كان قد عثر على الجثة بعد أقل من شهر تقريباً على اختطافه، على يد جماعة مسلحة من محل قريب من منزله في مدينة المنصور".** (بدر، 2008، ص9)، وهو ما يوضح المكان الواقع بالتفاصيل

مستودع التبغ (الملاذ والسجن/ الذاكرة والنسيان)، المستودع الذي يعمل فيه يوسف سامي صالح قوجمان، هو المكان الأكثر بروزًا ويُقدم بمفارقات مكانية عديدة:

"لم يكن مستودع التبغ مجرد مكان للعمل، بل كان كهفًا هادئًا يعزلني عن ضجيج بغداد المكلومة. هنا، بين رزم التبغ التي تحمل رائحة الماضي. وجدتُ ملاذًا من الخوف، لكنه كان أيضًا سجنًا اختياريًا، يدفنني بين الأوراق الصفراء والذكريات. بينما العالم بالخارج يتغير ويموت". (بدر، 2008، ص78-83)

يُظهر النص المفارقة بين وظيفة المكان كمستودع للتبغ (مادة تُستهلك وتُحرق) ودوره الرمزي كـــملاذ للذاكرة والأرشيف، وفي الوقت نفسه سجن للعزلة والتهميش. هو مكان للانفصال عن الواقع الخارجي (الضجيج والخراب) لكنه أيضًا يعكس حالة يوسف من التهميش والاختباء من العالم.

بغداد (المدينة الأسطورة والمدينة الممزقة)، بغداد تُقدم كشخصية رئيسية في الرواية، وهي مسرح لمفارقات مكانية مؤلمة:

" بغداد هي محكمة عســكرية وإعدامات، الزعيم يســتقبل المودعي، يتســقبل الجماهير الغاضــبةعلى الدوام، فالثورة مهددة بأعداء كثيرين وأقوياء، ثلاثة وعشرون محاولة اعتداء على حياة الزعيم". (بدر، 2008، ص191)

تبرز المفارقة بين الصورة الذهنية الأسطورية لبغداد وواقعها الراهن كمدينة للخراب والموت وفقدان الذاكرة. هذا التباين يُجسد تحوّل المكان من رمز للانتماء إلى رمز للمعاناة والضياع.

علاقة الشخصيات بالمكان المحلي، والمكان الذي تتطلع إليه الشخصية وتعيشه، سواء أكان مادياً أم معنوياً أم متخيلا، ويحاول الارتحال إليه. فمثلاً نجد أن بطل الرواية يحاول التحرر من المكان المحلي الذي يعيش فيه، ويتعامل معه بسلبية لعدم شعوره بالألفة تجاهه، ولذا يتطلع إلى مكان آخر يرغب في الارتحال إليه، يقول الراوي وهو يرصد أثر المكان على نفسية (يوسف) التي اتسمت بالانغلاق والسأم والملل:

"لقد أخذ يوسف يشعر شيئاً فشيئاً بالقرف والسأم والحزن الشديد من كل شيء في المنزل، من الكورتيات الباردة، من الشباك المغلق على الدوام بالستائر الثقيلة، من باب الخشب، من الهدوء، من المطبخ وخواشيق العجم، ومن مصباح المكتبة الأصفر، لقد شعر يوسف بأنه وحيد، والوحدة تغزو قلبه، كلما يدخل المنزل يرتمي على الكرسي بحركة ثقيلة غير متوازنة...". (بدر، 2008، ص144)

المنزل (المأوى الآمن والمساحة المُهددة)، المنزل، الذي يُفترض أن يكون ملاذًا للأمان والاستقرار، يُصبح مكانًا يحمل مفارقات مؤلمة:

إن المنزل يؤدي وظيفة عكسية، مضادة لأنه لا يمنح شخصية الرواية "يوسف" الأمان والإحساس بالراحة، بلي شعره بالملل، فهو مكان مغلق، و جسد بلا روح، فالبيت ذو الجسد والروح هو المادة الأساسية للإنسان، لأنه ملئ بالطاقة نتاج سكانه.

وبدهي أن نجد بيت الشخصية يوسف بأشيائه المعهودة لم يعد أليفاً بالنسبة إليه؛ لأنه بات مشحوناً بطاقات سلبية، نتيجة مشاعر الحزن والوحدة والخوف التي تنتابه. إلا أن هذا الشعور من قبل يوسف، والرؤية العدائية تجاه هذا المكان الداخل (المنزل) يدفعه لك ي يتحرر منه ويتطلع إلى الخارج، رغم أن الخارج على اختلاف نماذجه ليس سوى طوق أو قشرة صلبة تغلق رؤيته، ولذا يتساءل:

"كيف يمكنه الاستمرار في هذا المجتمع الضيق الذي يحيط به؟ كيف يمكنه التطور والتحول في هذا المجتمع الذي يطوقه مثل قشرة صدفية صلبة؟ هذا المجتمع الذي يحيط به مثل قشرة سميكة لا يمكنه النفاذ من خلالها أو اختراقها أبداً؟ فهنالك قشرة العائلة السميكة، وهناك سور المجتمع اليهودي في بغداد الثلاثينيات، وهناك قلعة المجتمع المسلم الذي يحيط بالمجتمع اليهودي ثالثاً". (بدر، 2008، ص125)

يُظهر النص المفارقة بين وظيفة المنزل التقليدية كملجأ ومصدر للأمان والحنين، وواقعه في ظل القمع كـــمكان مُهدد بالغياب والفقدان والخوف. هذا يعكس تغلغل تأثير الديكتاتورية حتى في أخصّ الأماكن حميمية.

تُعد رواية "حارس التبغ" لعلي بدر من الأعمال التي تتناول إشكالية الهوية والتشظي الإنساني في سياقات مكانية معقدة. يمكن فهم المفارقة المكانية لاستلاب الشخصية في الرواية من خلال عدة محاور:

يتمحور الاستلاب في الرواية حول شخصية "يوسف سلمان" اليهودي الأصل، الذي يتنقل بين هويات وأقنعة متعددة (من يهودي إلى شيعي "حيدر سلمان"، ثم سني، وحتى عراقي وغير عراقي). هذه التبدلات ليست مجرد اختيار عابر، بل هي محاولة يائسة للتكيف مع بيئات مكانية مختلفة، كل منها يفرض عليه هوية معينة أو ينبذ هويته الحقيقية . المفارقة هنا تكمن في أن الأماكن التي يبحث فيها عن الانتماء، هي نفســها التي تدفعه إلى التخلي عن ذاته الحقيقية وتكوين هوية مزيفة. فالمكان الذي يفترض أن يوفر الاستقرار والتعريف بالذات، يصبح ساحة لتفكك الذات وتشتتها.

تتجاوز الرواية إشكاليات الجغرافيا المادية، اذ توفر "نادية العمري" للشخصية "منفى داخليًا" يتجاوز تلك الإشكاليات ويوصله لبغداد ثانية. ومع ذلك، فإن هذا المنفى الداخلي لا يلغي الاستلاب، بل يؤكده بشكل آخر، فالشخصية لا تستطيع أن تكون ذاتها في الواقع بصورة معلنة، وتجبر على العيش بأقنعة متعددة، المفارقة هنا هي أن التحرر من قيود الجغرافيا الخارجية لا يعني بالضرورة التحرر من الاستلاب الداخلي المرتبط بالمكان وذكرياته.

بهذه الطريقة تُعد المفارقة المكانية في "حارس التبغ" ليست مجرد وصف لواقع جغرافي، بل هي بنية دلالية عميقة تُعكس الأثر الشامل للديكتاتورية على الروح الإنسانية، وتُبين كيف يُمكن للأمكنة أن تُصبح شواهد صامتة وفعالة على معاناة شعب في ظل نظام استبدادي.

المطلب الثاني: اثر المكان على الشخصية المستلبة في رواية لأني اسود

تُعد رواية "لأني أسود" للكاتبة سعداء الدعاس مثالًا قويًا على توظيف المفارقة المكانية لتسليط الضوء على قضية العنصرية والتمييز الذي تعيشه الشخصية المحورية "جوان و فوزي"، في هذا العمل تتجاوز الأماكن كونها مجرد خلفيات للأحداث؛ بل تُصبح رموزًا حية تُعبر عن عمق المشكلة وتأثيرها على حياة نورا، وتُبرز التناقضات بين المظهر والجوهر في المجتمع.

المنزل (الملاذ النظري مقابل مصـــدر التمييز)، يُفترض أن يكون المنزل ملاذًا للحب والأمان، لكنه في حالة "جوان" يتحول إلى مكان يُمارس فيه التمييز بشكل يومي، مما يُخلق مفارقة مؤلمة.

"في تلك الغرفة المفعمة بالبياض، لمع جسدي الصغير على تلك الكف البيضاء. كنت أصرخ.. أرتجف.. واعلن للعالم.... سوادي". (الدعاس، 2010، ص2)

يُبرز النص المفارقة بين الصورة الظاهرية للمنزل كمكان للعائلة والأمان، وواقعه كبيئة حاضنة للتمييز ضد اللوني، ويُظهر كيف أن الفضاء الخاص (غرفة جوان) يُصبح ملجأً لها من سموم الفضاء العالم.

المدرسة والفضاءات التعليمية (المساواة المُعلنة مقابل التمييز الممارس)، المدرسة التي تُفترض أنها مكان للمساواة والفرص المتكافئة، تُصبح مسرحًا للتنمر والتمييز.

"مدارسنا يا عزيزتي بيئة جيدة للأكسدة... المعلم كالأوكسجين والتلاميذ كالحديد، لا يجتمع الاوكسجين بالحيد إلا و أنتج الصدأ الذي لا يكتفي بتاكل السطوح، كما تعلمين". (الدعاس، 2010، ص21)

هنا تبرز المفارقة بين المبادئ المُعلنة للمدرسة كمؤسسة تعليمية تُعزز المساواة، وواقعها كمكان تُمارس فيه أشكال التنمر والتمييز العنصري الصارخة، مما يُظهر فشل المجتمع في تطبيق قيمه المعلنة.

التميز العنصري في لون البشرة السوداء، جعلها تتحسس الحوار مع بعض الناس، خلال رحله حياتها.

"هربت من المكان، خشية سؤال مفاجئ من تلك العجوز التي ظلت تتمتم... تصورت انها ربما كانت في شبابها لا تركب الحافلة رفقة إمراة سوداء كادحة". (الدعاس، 2010، ص80)

يُوضح النص المفارقة بين المساحة الحياتية التي تُفترض أنها قائمة على المساواة، وواقع التمييز الخفي الذي يضع حواجز غير مرئية أمام جوان. يُبرز هذا أن التمييز لا يقتصر على الصراخ العلني، بل يتسلل إلى الفرص والحياة الاجتماعية.

تُجسّد شخصية جوان في الرواية مثالًا صارخًا على المفارقة المكانية لاستلاب الشخصية، يتجلى هذا الاستلاب في التناقض بين الأماكن التي تتواجد فيها جوان وبين شعورها العميق بعدم الانتماء، نتيجة للتميز اللوني ضد أصحاب البشرة السوداء.

"...حياتنا في امريكا قد تبدو مملة، لكنها واضحة.. للمل سبب، وحل أيضاً، إن أردنا. في الكويت الأسباب معروفة، والنتائج مؤكدة، والحلول عقيمة، قد تضمن لبعض الطراف متعة آنية لكنها تؤهل لكارثة بلا شك". (الدعاس، 2010، ص195)

يظهر النص الاستيلاب المكاني للشخصية بسبب التمييز اللوني، "جوان" و "فوزي" لولا معطى الهوية اللونية لم يكن من السهل حدوث الجمع بينهم، لانها كانت السبيل نحو تفعيل إمكانية اللقاء والدفع بها بعيدا، للترك ندوب القضية وتعلن استمرارها، وهو الأمر المتحقق حينما خلفت الكويت "فوزي" مع امريكا "جوان"، هوية لونية سوداء امريكية – كويتية "جمال" الأبن.

"يا للمفارقة الفادحة، أين؟ في اكثر بلدان العالم تشدقا بالقيم الديمقراطية. ينتج هذا الارتباط، ليخرج إلي النور، هذا المخلوق الهجين...". (الدعاس، 2010، ص232)

يظهر النص الاستيلاب المكاني للوجه الحقيقي للديمقراطية الزائفة في امريكا، لتكشف معطياته العينية، فإذا لم تكن عنصرية الكويت أمرا مدهشا فإن عنصرية أمريكا تثير الدهشة، لن ثمة مفارقة، العنصرية ضد السود في عولمي سائر نحو ما بعد الهوية، ليست هس العنصرية في بلاد عربي أسير الواقع الثقافي والعادات والتقاليد.

"...كان زملائي يعتقدونني غبيا، لأني استبدلت الكويت بأمريكا، لم يعلموا اني عنيت الانتماء، عنيت تجمعات العائلة المحببة إلي قلبي...". (الدعاس، 2010، ص179)

يظهر النص المكان أكثر أزمة مع السياسية الأمريكية التى تؤكد في ظاهرها احقية الجميع في الاختلاف، في حين تعمل أياديها الخفية على محاربتك وخنقك مسلطة عليك برامج وصحافة العنف إلي أن تندم وتؤمن ان لا حق لك في ان تكون مختلفا إن أردت ان تعيش.

"...أتساءل دائما: "لما لا تسكن زميلاتي الشقروات احياء كأحيائنا؟.. لم لا نلتق بأسود غني وسعيد، إلا مرة في العام، ونلتقي بأشقر غني وسعيد كل يوم من العام؟". (الدعاس، 2010، ص65)

يظهر النص الاستيلاب المكاني، فسُلطة الأبيض تصل أقصاها في الاختراق كلما نجحت في استشعار الآخر النقيض بعدميته، او لا وجوده المكتمل.

"...رغم أن مطار الكويت منحني طمأنينة اللحظة الأولي، وهي اهم اللحظات.. إلا أنني امتعضت قليلاً، لأنني لاحظت سمرة يعمل في الوظائف الدنيا، لكني تداركت مشاعري حين اكتشفت ان اللون ليس طرفا في الموضوع، ففئة العمال غالبا من الهنود وجنسيات آسيوية أخري.. لأتعرف على نوع جديد من العنصرية". (الدعاس، 2010، ص158)

يظهر النص ربط المكان بالهيمنة العرقية من خلال التقليل من قيمة الآخر وحسب، بل تاخذ في اعتبارتها أيضا استغلال المؤشر اللوني كأسس لاكتساح المكانة الاجتماعية وتحديد الفوارق الاجتماعية أيضاً.

تعكس هذه المفارقات المكانية عمق الاستلاب الذي تعيشه نورا، اذ تُصبح الأماكن، سواء كانت مألوفة أو غريبة، مجرد مرايا تعكس لها حقيقة أنها مختلفة وغير منتمية بالكامل، ليس بسبب المكان نفسه، بل بسبب النظرة المجتمعية للونها.

بهذه الطريقة تُصبح المفارقة المكانية في "لأني أسود" ليست مجرد وصف للأماكن، بل هي أداة قوية لبناء الدلالات، وتُساهم في كشف طبيعة العنصرية المتغلغلة، وكيف تؤثر على حياة الأفراد وتشكل هويتهم.

المطلب الثالث: اثر المكان على الشخصية المستلبة في رواية جثث بلا اسماء

تُعد رواية "جثث بلا أسماء" لإسماعيل سكران من الأعمال التي توظف المفارقة المكانية بفاعلية لتصوير واقع الجريمة المنظمة والفساد المتغلغل في المجتمع العراقي. في هذه الرواية البوليسية، لا تقتصر الأماكن على كونها مجرد مسارح للأحداث، بل تُصبح كيانات حية تحمل دلالات متناقضة، وتُبرز التباين بين مظهر المكان وجوهره، أو بين ما هو متوقع منه وما يؤول إليه، تُساعد هذه المفارقات في تعميق الغموض، وبناء التشويق، وكشف الأبعاد الخفية للجريمة وتأثيرها على المكان وسكانه.

"...ففي احدى الأمسيات جلست في صالة منزلها، تملأ أنفها رائحة الخمر التي ظلت عالقة في جدران الصالة، بقايا سامح الذي اختفى ولم يتبق منه سوى هذه الرائحة الملتصقة بأثاث المنزل، تأتيها من بعيد ومن قريب أصوات الانطلاقات والانفجارات التي أصبحت من سمات الحياة في بغداد....ولم يعد لديها ما تبقى من أجله، لقد دبت الفوضى وتحطم مشروعها الانساني.....وفيما كانت هيلين مستغرقة في ذهولها..". (سكران، 2015، ص218-220)

يظهر النص الاستيلاب المكاني لشخصية هيلين بسبب مشاعر الوحدة والفقد التي تنتاب دواخلها.

مركز الشرطة/المؤسسات الأمنية (مكان العدالة ومأوى الفساد)، تُفترض أن تكون هذه الأماكن معاقل القانون وتحقيق العدالة، لكن الرواية تُقدمها بمفارقة مؤلمة.

"لأحد بالتأكيد يعلم المضمر من عمله الحقيقي كضابط أمن منسّب من مديرية الأمن العامة الى جناح خاص في مستشفى الشماعية. سوى المدير وهيلين". (سكران، 2015، ص25)

المكان الذي يطلق عليه القاووش الاحمر، جناح أمني للتخلص من المعارضين للسلطة ويخضع القاووش الى تراتبية ثلاثية.

"..المستجوبين، والذين سيتم استجوابهم والمتوفين". (سكران، 2015، ص27)

"شاعت ظاهرة انتشار الجثث المجهولة الهوية في شوارع العاصمة، فتقلصت تبعا لذلك حركة الحياة في الأسواق العامة والحارات والشوارع، ولم يستثن من ذلك سوق الشورجة، فقد ساد الخوف في نفوس التجار واعتبروا أنفسهم هدفا سهلا للغدر.. فقد بدا الذعر على الجميع، الكل يهرع في وقت مبكر من

النهار عائدا إلى منزله، التجار والحمالون وسائقو التكسيات والكوسترات وأصحاب المحال والموظفون. لا أحد من هؤلاء يرغب في أن يكون الجثة التالية". (سكران، 2015، ص76-77)

يظهر النص تجسيد المكان في مستشفى الرشاد للأمراض العقلية وتحديدا في القاووش الأحمر اذ المكان، الذي اتخذته السلطة السابقة لتمارس وسائل التعذيب والقتل والانتهاكات لكل معارضيها، لكن هذا المكان المغلق والمعزول داخل المستشفى قد انعكس على فضاء بغداد بأكملها، وذلك عندما أخذت السلطة ترمي بجثث ضحايا هذا المكان في أمكنة مختلفة منبغداد.

تسمية المكان ليست رسمية ..(بل هو مجرد اسم أطلقه عليه النقيب سامح..)..ومن يصل الى هذا المكان، لايحق له سوى الموت المجاني الذي هو من صلاحيات النقيب سامح، يعقب ذلك مجهولية إقامة الجثة (فالضحية لم يسجل أصلا في سجلات المستشفى كنزيل أوماشابه، التسجيل السري موجود فقط في دائرة الأمن والتي تتسلم تقرير النقيب سامح اليومي حول حالات الوفاة أو حالات الجنون التي تتم إحالتها الى الجناح. (سكران، 2015، ص25)

"الجناح الرابع الذي تشرف عليه هيلين، يضم في العادة الرجال الذين تتم احالتهم اليه من القاووش الأحمر، بعد تعرضهم لسلسلة من الصدمات الكهربائية وضربات الرأس والحقن المنتظمة، لكنهم نجوا من الموت الذي يتعرض له البعض من زملائهم. كانوا أسوياء قبل احالتهم الى القاووش الأحمر، لكنهم الآن بلا ذاكرة أو تاريخ أو عقل..". (سكران، 2015، ص16)

يظهر النص طبيعة الممارسات التعذيبية، التي كانت تمارسها السلطة من خلال شخصية النقيب (سامح) تقود بالنزلاء إلى نهايتين مأساويتين أحدهما جثث مرمية، والأخرى تقودهم الى أن يصبحوا أشخاصا غير أسوياء وصل بهم التعذيب في ظل بؤرة (القاووش الأحمر) وتبعاته وإسقاطاته النفسية عليها إلى حد (الجنون)، فالمكان هنا يمارس من خلال سطوة السلطة تأثيراته على (النزلاء)، ويبلور تجربة معاناتهم.

تقرر هيلين بصمت تنفيذ برنامج علاجي لتمحو بذلك سرديات القمع من أجسادهم وذاكراتهم وارواحهم .

"هيلين تعتقد انها تستطيع منح هؤلاء فرصة للعيش بأمان وربما يستعيد البعض منهم صفاء عقله ...ولكن مَن هم هؤلاء الذين يستحقون ان تغامر هيلين بحياتها من أجلهم ؟ يجبنا السارد العليم .." (سكران، 2015، ص15)

كانوا شباباً مثقفين، خالفوا قواعد النظام السياسي فنالوا غضبه ولعنته، أحيلوا بعد ذلك الى القبو الاحمر. البعض منهم لم يحتمل دروس التعذيب، فتوقف قلبه. وانتهى به الامر مغلفا بقطعة نايلون ومدفونا في إحدى ساحات مستشفى الشماعية. ثم يحدد السارد العليم هويتهم الايدلوجية:

"نزلاء القاووش الاحمر..هم في الغالب معتقلون سياسيون، أحيلوا من دوائر الأمن بصفة مجانين، جلهم شيوعيون أو سلاميون". (سكران، 2015، ص2ص26)

يُوضح النص المفارقة بين المظهر الرسمي والمُعلن لمركز الشرطة كمؤسسة للعدالة والنظام، وواقعه الفعلي كبيئة يُمكن أن يتغلغل فيها الفساد والتواطؤ .هذا يُبرز الصراع الداخلي الذي يواجهه المحققون النزيهون في سعيهم لتحقيق العدالة ضمن نظام فاسد.

"كانت هيلين تلوب في منزلها مثل قط محاصر، ليس بوسعها استخدام هاتفها فقد قصفت البدالات ولم تعد للهواتف من أهمية ومنذ انبلاج الفجر وهي ترقب الموقف بأعصاب مضطربة، تبحث عن مخرج ما علها تجد حلا، فهي لا تريد للقدر أن يقرر نيابة عنها". (سكران، 2015، ص178)

يُوضح النص المفارقة بين الوجه المألوف والأمن للمنزل، وبين التهديد الخفي أو الظاهر الذي يتسلل إليهما، هذا يُجسّد فقدان الأمن الشامل وكيف تُصبح الحياة اليومية محفوفة بالمخاطر، وأن أي مكان يُمكن أن يتحول إلى مسرح لجريمة.

تمس رواية "جثث بلا أسماء" الواقع الاجتماعي والسياسي، قضية المفارقة المكانية لاستلاب الشخصية بشكل عميق، يبرز هذا الجانب في الرواية من خلال التناقض الصارخ بين وظيفة المكان المفترضة (الاحتواء، الأمان، تحديد الهوية) وواقعه الذي يدفع الشخصيات إلى التهميش، الضياع، وفقدان الذات.

تُبرز رواية "جثث بلا أسماء" من خلال هذه المفارقات المكانية كيف يمكن للظروف القاسية والأنظمة القمعية أن تحوّل الأماكن من حاضنة للهوية إلى أدوات فعالة لاستلاب الإنسان وتجريده من كل ما يجعله شخصًا ذا معنى ووجود.

بهذه الطريقة تُصبح المفارقة المكانية في "جثث بلا أسماء" ليست مجرد وصف للأماكن، بل هي أداة قوية لبناء الدلالات، وتُساهم في كشف طبيعة الفساد المتغلغل، وفقدان الأمن، وتأثير الجريمة على النسيج الاجتماعي للمدينة، مما يجعل المكان نفسه شاهدًا فعالًا على المأساة.

المطلب الرابع: اثر المكان على الشخصية المستلبة في رواية أبناء وأحذية

تُعد رواية "أبناء وأحذية" للكاتب العراقي محسن الرملي نسيجًا روائيًا يتداخل فيه الزمان والمكان ليُشكّلا معًا مرآة للواقع العراقي تحت وطأة الديكتاتورية. تبرز المفارقة المكانية في هذه الرواية بقوة اذ لا تقتصر الأمكنة على كونها مجرد مسارح للأحداث، بل تُصبح رموزًا حية تُجسّد الصراع بين الظاهر والباطن، بين ما يُفترض أن تكون عليه الأماكن وما آلت إليه بفعل القمع. تُسهم هذه المفارقات في تعميق الدلالات المتعلقة بالخوف، العزلة، والبحث عن الهوية في بيئة مُقيّدة.

تدور أحداث هذه الرواية بين ثلاث دول، وهي العراق وأسبانيا وكولومبيا، اذ يقرر ساردها "أمير"، بمغادرة العراق، قاصدا أسبانيا، نتيجة الخلاف القائم مع زوجته "زهراء" حول كيفية دفن أبنتهما المولودة حديثا، وعدم رؤيتها لها، لأنها كانت في غرفة العمليات تحت تأثير التخدير، وذلك بعد ان تطلب الطلاق منه. ولشعوره أثر ذلك بالإغتراب عن كل ما يحيط به، ووقوعا تحت تأثير شقيقته "إنضباط" التي تحضه على الهجرة يلتقي هناك بأبن خاله "منهل" الذي كان يحب شقيقته "إنضباط" قبل أن يهاجر الى أسبانيا، وتحبه هي أيضا، ولكن لسيرته السيئة، يأبى والدها الإقتران به. ليستقبله في مطار برشلونة، ويقله بسيارته الفارهة الى المطعم الذي يمتلكه، وقد علق على واجهته قطعة كبيرة تحت عنوان: مطعم إنضباط للمأكولات العربية، في إشارة واضحة الى أن منهل ما زال يحب شقيقته، وطمأنه الى أنه سيعمل معه في المطعم إلى أن يتعلم اللغة، ليصبح وقتذاك هو المسؤول عن المطعم، وأعطاه غرفة واحدة من الغرفتين الموجودتين في شقته المشيدة فوق المطعم.

الشارع/الأماكن العامة (ساحة الحياة)، الشوارع والميادين، التي تُفترض أنها أماكن حيوية للتفاعل الاجتماعي والانفتاح، تتحول إلى مساحات تحمل دلالات متناقضة من الحياة والألم في آن واحد.

"ليس لديّ أية رغبة بمعاودة السير في الأماكن التي سرتُ فيها مع زهراء، ولا رؤية الناس الذين عرفانهم معًا، فكل شيء سيذكّرني بها أكثر، ويوجعني أكثر، لم أعد أكترث بشيء، ولا أرغب بشيء". (الدعاس، 2010، ص57)

هنا تكمن المفارقة بين المفهوم التقليدي للشارع كمساحة حرة للحياة الاجتماعية والتحرك الطبيعي، وواقعه كفضاء، مسرحًا للذكريات المؤلمة.

السفر خارج الوطن، يُقدم بمفارقة مؤلمة؛ اذ تُخترق حصانته باستمرار، ويُصبح الوطن مصدرًا للقلق بدلاً من الراحة.

لذا حين ادركت "انضباط" هذا الأمر، اقترحت عليَّ مغادرته، السفر إلى الخارج، الذهاب إلى اسبانيا اذ "مَنهَل"، فكان اقتراحها اكثر شيء أثار في نفسي الحماسة، وجدَّد فيَّ الرغبة بتجديد نفسي، في محيط جديد، بعيدًا عن هذا الذي يحاصرني ولا أشعر بأي تفاعل او انتماء له. (الدعاس، 2010، ص65)

يُوضح النص المفارقة بين وظيفة الوطن العراق كملجأ آمن وحصن للخصوصية، وواقعه كفضاء مرتبط بالذكريات المؤلمة. يُجسّد هذا التناقض كيف أن "أمير" أصبح يشعر بمرارة فراق "زهراء" و موت أبنته، كيف يؤد الهروب من العراق الذي أصبح يشعر فيها بالأغتراب المكاني.

"حال خروجي من المستشفى، استقبلتني نسمة باردة فضممت ابنتي على صدري أكثر، وسِرتُ في الاتجاه نفسه الذي يقودني إلأى ساحة "الشهداء. كان الناس أقل، والليل اكثر". (الدعاس، 2010،ص43)

يوضح النص المفارقة في تضارب مشاعر أمير نتيجة موت أبنته وأحساسة بالصدمة والفجعة الكبري.

المقبرة (نهاية المطاف وبداية الذاكرة/المقاومة)، تُقدم المقبرة في الرواية بمفارقة عميقة، فهي ليست مجرد مكان للموتى، بل تُصبح مساحة للذاكرة الحية والمقاومة الرمزية.

"كان القبر على شكل حُجرة... هنا، ملتصقين بجداره، كانت اول قُبلة لنا، وهنا في هذه البقعة تحديدًا جئنا للاختلاء ببعضنا عدة مرات، وهنا في هذه البقعة تحديدًا سترقدين يأ اميرتي الزهراء إلي الأبد". (الدعاس، 2010، ص53)

تبرز هنا المفارقة بين الوظيفة الظاهرية للمقبرة كمكان للموت والنسيان، ووظيفتها الفعلية كفضاء للذاكرة الحية والمقاومة الصامتة. هي المكان الوحيد الذي يُمكن للأحياء فيه أن يشعروا بالحرية للتعبير عن حزنهم أو إحياء ذكرى ضحايا النظام دون خوف من المراقبة، مما يجعلها رمزًا للأمل الخفي في قلب اليأس.

في رواية "أبناء وأحذية" يعبر الكاتب عن المفارقة المكانية لاستلاب الشخصية ببراعة عبر تصوير الأماكن كأوعية متناقضة لمصير الشخصيات، فتحولها من مصدر للأمان والانتماء إلى فضاءات للقمع، الضياع، وفقدان الذات. تتجلى هذه المفارقة بشكل أساسي في التنقل بين العراق (الوطن الأم) والمنفى (إسبانيا وكولومبيا)، مع التركيز على فقدان القدرة على الانتماء في كلا الفضائين.

يُقدم الرملي العراق و خاصة بغداد ليس كملاذ آمن أو حاضنة للهوية، بل كمكان يُجبر الأفراد على التخفي، القمع، والهروب. هنا، المفارقة تكمن في أن الوطن الذي يُفترض أن يكون مصدرًا للوجود، يصبح عاملًا أساسيًا في استلاب الشخصية.

المطلب الخامس: اثر المكان على الشخصية المستلبة في رواية ساق البامبو

تُعد رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي كنزًا من المفارقات، وتُبرز المفارقة المكانية فيها بشكل حاسم لتجسيد صراع الهوية والانتماء الذي يعيشه بطل الرواية هوزيه/عيسى. الأماكن في هذه الرواية ليست مجرد مواقع جغرافية، بل هي كيانات حية تحمل دلالات متناقضة، وتُجسّد التباين الصارخ بين المأمول والواقع، وبين الانتماء الشكلي والفقدان الروحي.

الكويت (الوطن الذي يُفترض أن يكون ملاذاً ويتحوّل إلى مكان للنبذ)، الكويت هي المحور الذي تدور حوله رحلة هوزيه، وتُقدم كمفارقة مكانية مركزية:

"مطار كنيب ذلك الذي حطت به الطائرة يوم الأحد، الخامس عشر من يناير 2006. الوجوه تشبه مطارها، كئيبة، بشكل لم أجد تبريرا. انتشر الناس في طوابير، أمام موظف المطار، يختمون جوازاتهم ، وفي مقدمة كل طابور ، في الأعلى، لافتات، كتب على بعضها "G.C.C CITIZENS"؛ وكتب على بعضها الآخر: "مواطنو الدول الأخرى". واقفت في حيرة أمام هذه الطوابير. هل اتوجه للطوابير التى يقف فيها الفلبينيون الذين كانوا معي في الرحلة ؟ أم تلك الطوابير الي يقف فيها أناس لا يشبهونني؟". (السنعوسي، 2012، ص185)

"أفزعتني أن تكون الكويت هي تلك التي أعيشها كل يوم منذ وصولي، أحببتها، أفضل المعاناة في البحث عنها على أن تكون بهذه الصورة التي أرى". (السنعوسي، 2012، ص223)

يُبرز النص المفارقة الحادة بين صورة الكويت في ذهن هوزيه كـ"وطن مأمول" يُفترض أن يحتضنه، وواقعها كبيئة رافضة ومُنبذة بسبب أصوله . التباين بين الرائحة (البخور مقابل السمك) يُجسد صدام الثقافات والمكانات الاجتماعية، ويُظهر كيف أن المكان الذي يُفترض أن يكون مصدرًا للانتماء يُصبح مصدرًا للاغتراب.

الفلبين (الغربة الدائمة والملاذ الروحي غير المكتمل)، الفلبين، موطن الأم، تُقدم بمفارقة مكانية أخرى، اذ يشعر هوزيه فيها بالغربة رغم أنها أرض نشأته.

"عيسى إلى الوراء يلتفت، إلى كوخ أمي البسيط، اذ 'لولا' احتضنتني بكل حب. لكنني كنتُ أشعر دائمًا بأنني لستُ منهم تمامًا. كانوا يرون فيَّ 'ابن الكويتي'، بينما في الكويت رأوني 'ابن الفلبينية". كانت سواحل البامبو التي تربيت عليها تلوح لي كأطراف ساق مقطوعة، لا تصلني بالأرض التي أُريدها". (السنعوسي، 2012، ص391-393)

تُوضح المفارقة شعور هوزيه بالاغتراب حتى في وطنه الأصلي (الفلبين) .يُنظر إليه كـ"غريب" هناك بسبب نسبه الكويتي، مما يُبرز أن هويته ممزقة بين مكانين، ولا يجد الانتماء الكامل في أي منهما. "ساق البامبو" نفسها تُصبح رمزًا لمكان الاقتلاع وعدم الجذور.

بيت عائلة الطاروف (القصر الذي يرفض أبناءه)، يُمثل هذا القصر مفارقة مكانية صارخة بين مظهره الاجتماعي ووظيفته الأسرية.

"كان قصر الطاروف، بأسواره العالية وغرفه الفاخرة، يوحي بالعظمة والأصالة .لكنه كان بالنسبة لي سجنًا ذهبيًا تُراقَب فيه كل حركة. الجدة، بابتسامتها الباردة، جعلت كل زاوية فيه تهمس برفضها لوجودي .كان مكانًا للعائلة التي لم تكن عائلتي حقًا، للمال الذي لم يكن ملكي، وللنسب الذي لم يُعترف به". (السنعوسي، 2012، ص217)

تُبرز المفارقة بين المظهر الفاخر والمكانة الاجتماعية لبيت عائلة الطاروف، وواقعه كمكان للنبذ والرفض العائلي لهوزيه. القصر الذي يُفترض أن يكون مركزًا للانتماء يُصبح مساحة للعزلة والتحقير، مما يُجسّد الصراع الطبقي والعنصري.

غرفة الخادمة في الفلبين (المكان المتواضع ومصدر الدفء)، على النقيض من ذلك، تُقدم غرفة الخادمة في الفلبين بمفارقة دافئة.

"تذكرتُ غرفة أمي الضيقة في منزل الكفيل الكويتي، تلك الغرفة التي كانت بالكاد تتسع لجسدها المنهك .في مخيلتي، كانت تلك الغرفة الصغيرة، رغم بؤسها، أكثر دفئًا وصدقًا من كل قصور الطاروف .كانت تلك زاوية العالم الوحيدة التي تُذكرني بأمي، وبأن هناك حبًا لا يُشترط بلون البشرة أو النسب". (السنعوسي، 2012، ص243-244)

تُظهر المفارقة بين الحجم المتواضع والوضع الاجتماعي المتدني لغرفة الخادمة، وقيمتها العاطفية والدلالية الكبيرة كرمز للحب غير المشروط والأصالة. هي المكان الذي ارتبط بأمه، والذي يُمثل له الدفء والإنسانية الحقيقية بعيدًا عن زيف المجتمعات الراقية.

تُعد رواية "ساق البامبو" من الأعمال الأدبية التي تُعبّر ببراعة عن المفارقة المكانية لاستلاب الشخصية، وذلك من خلال رحلة بطلها عيسى/هوزيه بين عالمين متناقضين: الكويت والفلبين، تتجلى هذه المفارقة في أن كلا المكانين، رغم اختلافهما الجذري، لا يمنحان عيسى الهوية الكاملة أو الانتماء المطلق، بل يساهمان في استلابه بطرق مختلفة.

"دخلتُ قصر جدي، الذي كان يتسع لعشرات الضيوف، لكنني شعرتُ وكأنني محبوس في قفص زجاجي، أرى الجميع ولا يراني أحدًا، أو يراني بعيون تختلف عن نظرتهم لبقية الأحفاد". (السنعوسي، 2012، 229-230)

ضاقت الكويت فجاءة ..أصبحت بحجم غرفة إبراهيم سلام ..ضاقت اكثر..أصبحت بحجم عود ثقاب..لم أكن أحد اعوادها. تذكرت كلمتهم المتداولة ..الكويت صغيرة". (السنعوسي، 2012، ص383)

يظهر النص المفارقة بين اتساع المكان المادي وضيق المكانة الاجتماعية.

"في المسجد، اذ يتساوى الناس أمام الله، كنتُ ألمح نظرات فضولية، وأسمع همسات خافتة عن 'ابن الخادمة'. فبات سجودي، بدل أن يكون خشوعًا، هروبًا من أعين لا ترحم". (السنعوسي، 2012، ص270) يظهر النص المفارقة في تحول مكان العبادة إلى فضاء للحكم الاجتماعي.

الفلبين هي الأرض التي وُلد فيها عيسى وترعرع، وهي موطن أمه وجذوره لكنه، بوعيه العربي الإسلامي الذي زرعته فيه أمه، لا يشعر بالانتماء الكامل لهذا المكان، فيجد نفسه غريبًا عن ثقافته، لغته، وحتى ديانته الأصلية (المسيحية)، فالمكان الذي يُفترض أن يكون أساس هويته البدئية يصبح فضاءً للاختلاف، الصراع الداخلي، والشعور بالغربة الثقافية.

"حتى الجذور لا تعني شيئاً أحياناً ..لو كنت مثل شجرة البامبو، لا انتماء لها". (السنعوسي، 2012، ص94)

"برغم السنوات التى قيضيتها بينكم..أنا لا أنتمي إليكم". (السنعوسي، 2012، ص179)

يظهر النص المفارقة بين المكان المألوف بالولادة وشعور الشخصية بالغربة الروحية.

تُظهر الرواية أن المفارقة المكانية لاستلاب عيسى تكمن في كونه "لا ينتمي لأي مكان بالكامل"، ففي وطنه الأصلي (الفلبين)، هو غريب بسبب انتمائه الروحي والثقافي للكويت، وفي وطنه الأبوي (الكويت)، هو غريب بسبب أصوله ولون بشرته. هذا التيه بين المكانين يخلق استلابًا عميقًا ودائمًا يُمثل جوهر الرواية.

بهذه الطريقة تُصبح المفارقة المكانية في الرواية ليست مجرد وصف لواقع جغرافي، بل هي بنية دلالية عميقة تُجسّد الصراع الوجودي للهوية والانتماء، وتُبرز كيف أن الأماكن تُصبح شواهد صامتة وفعالة على التمييز والتحيزات في المجتمعات المعاصرة.

الخاتمة : في ختام هذا البحث نخلص الى اهم النتائج والتي منها :-

1. لم يعد المكان عنصراً ثانوياً في البناء السردي، بل غدا مكوناً جوهرياً يسهم في تشكيل الشخصية المستلبة وتحديد ملامحها النفسية والاجتماعية.
2. اظهرت الروايات المدرسة ان تنوع لأمكنة بما تحمله من دلالات اجتماعية وثقافية و سياسية كان له الأثر البالغ في تعميق شعور الشخصيات بالاغتراب والانفصال عن الذات.
3. كشفت الدراسة عن علاقة جدلية بين المكان والشخصية اذا يمارس المكان سلطة ضاغطة تقيد حرية الفرد وتدفقه نحو الاستلاب.
4. تتفاوت حدة تأثير المكان من رواية الى اخرى بين القسوة الشديدة كما في البيئات المضطربة والتأثير المعتدل في البيئات المستقر نسبياً

وعلية يمكننا ان تحليل المكان يعد مدخلاً نقدياً مهما الفهم البنية العميقة للنص الروائي وان المكان بما يمتلكه من طاقة دلالية بظل عنصراً فاعلاً في انتاج المعنى وفي ابراز معاناة الانسان في ظل ظروف قاهرة تسهم في تشكيل وعيه المأزوم

المصادر:

1) حمودة، ماجدة (2010) : صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم الاختلاف، بيروت.
2) حنفي، حسن (1990): في الفكر الغربي المعاصر،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
3) زايد، عبد الصمد (1988): مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية، الدار العربية للكتاب، تونس.
4) زيتوني، لطيف (2002) : معجم مصطلحات نقد الرواية، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
5) زين الدين، عبد الرسول (2024): البراءة، العقيدة الإسلامية ط1.
6) سلمان، نبيل (2010): الراية العربية والمجتمع المدني، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون.
7) سليمان، ميساء سليمان (2011): البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
8) سهيل، المنهل (2010): (قاموس فرنسي- عربي)، دار الآداب، بيروت، لبنان.
9) شاويش، محمد، حسين شاويش (2016): علم نفس الشخصية المستلبة(مبادئ 35 علم التحليل النفسي الطبقي)، أرياد للطباعة والنشر، سوريا.
10) صالح، صلاح (1997): المكان الروائي في الأدب المعاصر،ط1، دار شرقيات، القاهرة.
11) صيداوي، رفيف رضا (2008): الرواية العربية بين الواقع والتخييل، ط 1، بيروت، دار الفارابي.
12) عبدالجبار، فالح (2018): الاستلاب (هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرخ، ماركس)، ط1، دار الفرابي، لبنان.
13) عزام، محمد (2004): تحليل الخطاب الأدبي، دمشق ، سوريا، اتحاد الخطاب العرب.
14) عزام، محمد (2005): شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
15) فضل، صالح (1998): نظرية البنائية في النقد الأدبي،ط1، دار الشروق.
16) لحمداني، حميد (2007): بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب.
17) لوكام، سليمة (2009): تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سحر للنشر، تونس.
18) مبروك، أمل (2004) : مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
19) مرتاض، عبدالملك (1988): في نظرية الرواية "بحث في تقنية السرد" ، عالم المعرفة ، الكويت.
20) معتصم، محمد (2014): مكون الشخصية الروائية (من السند التاريخي إلى هالميات وادي السيليكون)، ط1 دار التنوير، الجزائر.
21) معلوف أمين (2008): الهوية القاتلة، ترجمة نهلة بيضون، بيروت، دار الفارابي.

Sources:

1) Hammouda, Majda (2010): The Image of the Other in Arab Heritage, Arab House for Sciences and Difference, Beirut.
2) Hanafi, Hassan (1990): On Contemporary Western Thought, 1st ed., University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
3) Zayed, Abdel Samad (1988): The Concept of Time and Its Significance in the Arabic Novel, Arab House for Books, Tunis.
4) Zaitouni, Latif (2002): A Dictionary of Novel Criticism Terms, Beirut, Library of Lebanon Publishers.
5) Zein El-Din, Abdel Rasoul (2024): Innocence, Islamic Creed, 1st ed.
6) Salman, Nabil (2010): The Arab Flag and Civil Society, 1st ed., Beirut, Arab House for Sciences Publishers.

7) Sulaiman, Maysaa Sulaiman (2011): Narrative Structure in the Book of Delight and Sociability, Syrian General Authority for Books Publications, Damascus.
8) Suhail, Al-Manhal (2010): (French-Arabic Dictionary), Dar Al-Adab, Beirut, Lebanon.
9) Shawish, Muhammad, Hussein Shawish (2016): The Psychology of the Alienated Personality (Principles of Class Psychoanalysis), Ariad Printing and Publishing, Syria.
10) Saleh, Salah (1997): The Novelistic Place in Contemporary Literature, 1st ed., Dar Sharqiyat, Cairo.
11) Sidawi, Rafif Rida (2008): The Arabic Novel Between Reality and Imagination, 1st ed., Beirut, Dar Al-Farabi.
12) Abdul-Jabbar, Falih (2018): Alienation (Hobbes, Locke, Rousseau, Hegel, Feuerich, Marx), 1st ed., Dar Al-Farabi, Lebanon. 13) Azzam, Muhammad (2004): Analysis of Literary Discourse, Damascus, Syria, Arab Discourse Union.
13) Azzam, Muhammad (2005): The Poetics of Narrative Discourse, Arab Writers Union Publications, Damascus.
14) Fadl, Saleh (1998): Structuralism in Literary Criticism, 1st ed., Dar Al-Shorouk.
15) Lahmdani, Hamid (2007): The Structure of Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center, Morocco.
16) Loukam, Salima (2009): The Reception of Narratology in Maghrebi Criticism, Dar Sahar Publishing, Tunisia.
17) Mabrouk, Amal (2004): The Problem of Man in Contemporary Thought, Dar Quba for Printing and Publishing, Cairo.
18) Murtad, Abdelmalek (1988): On the Theory of the Novel: A Study in Narrative Technique, Alam Al-Ma'rifah, Kuwait.
19) Mu'tasim, Muhammad (2014): The Component of the Fictional Character (From Historical Documents to the Illusions of Silicon Valley), 1st ed., Dar al-Tanweer, Algeria.
20) Maalouf, Amin (2008): Violence and the Need to Belong, translated by Nahla Baydoun, Beirut, Dar al-Farabi.